توماس يوستا ترانسترومر...

بين مدينة طنطا و نوبل

بعـد أن جالـت كل القـارات هـا هـي جائـزة نوبـل تحـط في عُقـر دارهـا بعـد غيـاب دام أكثـر مـن خمسـين سـنة فتتـوَّج السـويد بجائـزة نوبـل لـلآداب و تعيـد الأكاديميـة السـويدية الجائـزة مـن الروايـة و المـسرح إلى الشـعر حـين سـطع في خريـف ٢٠١١ نجـم الشـاعر. الإسـكندِنافي الكبـير تومـاس «يوسـتا ترانسـترومر».

يُعَـدُّ مـن ألمـع الوجـوه الشـعرية الإسـكندِنافية، عالمـه بعيـد كل البُعْـد عـن السياسـة لا وجـود في إبداعـه رفـض أو تمـرُّد أو اندفاعيـة، عـالم تومـاس عـالم الفكـر و الجـمال عـالم البحـث عـن الـذات لـدى الآخريـن، عـالم غريـب، الخيـال هـو الواقـع، فيـه تأمُّـل و اكتشـاف الأغـوار النفسـية و العـالم المحيـط، لا هـو عـالم تجريـدي فيـه حساسـية وجدانيـة و لا

وجودي، الكون عنده كيان واحد، كتاباته تعبير عن الحياة اليومية المُثقلة بهموم البشر و الطبيعة حاضرة بقوة في شعره و نغمة حزينة و رؤية صوفية، لا يكتب القصائد بل يرسمها و يصارع الحياة من أجل البقاء.

هذا هو «توماس» الطبيب النفساني و عازف البيانو المولع بعالم الحشرات المولود في ١٥ من نيسان عام ١٩٣١ نشر أولى مجموعاته الشعرية عام ١٩٥٤ و عنوانها» ١٧ قصيدة» عندما كان طالبًا قبل خوْض غمار الشعر، عَمِلَ كمترجم حصل على عِدَّة جوائز محلية و أوروبية منها جائزة بترارك عام ١٩٨١ و جائزة الإكليل الذهبي عام ٢٠٠٣ و نوبل للآداب عام ٢٠١١ و تُرجمت أعماله إلى ستين لغة منها اللغة العربية. و عبَّرَتْ لجنة جائزة نوبل في بيانها بأنَّ «توماس ترانسترومر» يتيح لنا الوصول إلى عالم جديد من خلال كتاباته و يعطينا منفذا جديدًا إلى الواقع.

تأثر بالشعراء الكلاسيكيين و اللاتينيين قصائده تمرُّ بمراحل متنوعة، لغته سريالية نلمح عنده رصانة النصوص بعيدًا عن الزمان و المكان حيث يبحث في ما وراء الشكل و لهذا سُمِّيَ أستاذ الصور في الشعر السويدي.

في عمله «سماء نصف مكتملة» يتحدث عن ذكرياته و زيارته لمصر أيام الشباب لمدينة «طنطا» و دوَّن تلك الزيارة و قال إنَّه كتب ما شاهده في تلك الزيارة في ذاك النهار من عام ١٩٥٩، لا يوجد خيال و لا إبداع إنَّما هو تسجيل مباشر.

أشعاره تتسم بالقوة، فمن حين لآخر نجد صورًا بسيطة مع رقة الإحساس و لغة تعبيرية. و في قصيدته التي ترجمها «سامر أبو هواش» :

«عاصفة تدري أشرعة الطاحونة في الأرجاء في ظلمة الليل، ولا تطحن شيئا / تؤرقك القوانين نفسها / بطن الحوت الرمادي هو مصباحك الواهن / ذكريات مبهمة تغرق في لجة البحر / و تستحيل هناك أعمدة غريبة / عكازتك قد اصطبغت بخضرة الطحالب / ذلك الذي يخوض غمار البحر / يعود متيبِّسًا / الزوجان يطفئان الضوء/ فيتوهج في المصباح الأبيض لبرهة / قبل أن يتلاش كقرص دواء».

توفي يوم الخميس ٢٦ آذار ٢٠١٥.

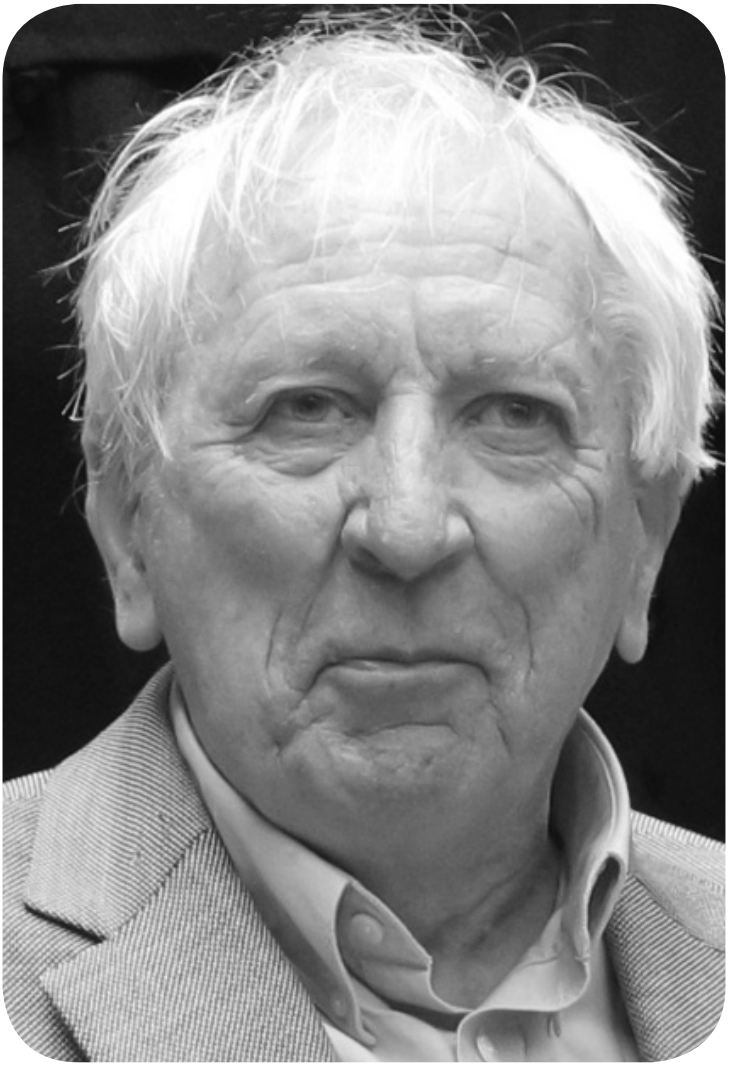

توماس يوستا ترانسترومر